طريقة القراءة عند المكفوفين بصرياً

في قصائد من الشعر الأندلسي

الدكتور صلاح جرّار

قسم اللغة العربية وآدابها

الجامعة الأردنية

مقدّمة

هنالك عدد غير قليل من أعلام الفكر والأدب والثقافة العربية المشهورين عبر التاريخ العربي ممن ابتلوا بفقدان البصر، سواء قبل ولادتهم أو بعد ولادتهم، وقد اشتهر منهم في مشرق العالم العربي ومغربه أعلام ذاع صيتهم ذيوعاً واسعاً، مثل سعد بن ابي وقاص وبشار بن برد وأبي العلاء المعرّي وسليمان بن مسلم صريع الغواني وعليّ بن جبلة و شمس الدين الذهبي من أهل المشرق، والأعمى التُطِيلي وأبي القاسم السهيلي و،أبي الحسن بن سيدة، وأبي القاسم الشاطبي، والأعلم الشَنْتَمري من أهل الأندلس.

وقد عني مؤرّخو الأدب ومؤلّفو كتب التراجم بالتعريف بهؤلاء المكفوفين، وتوسّعوا في سيرهم وأخبارهم وما صدر عنهم من أدب وفكر، وتحدّثوا في أحيان كثيرة عن ذكائهم وقدرتهم على الاتصال بمحيطهم، مثلما تحدّثوا عن معاناتهم بسبب إصابتهم بفقدان البصر.

ولكنّ هؤلاء المؤرّخين لم يولوا أساليب الكتابة والقراءة عند هؤلاء المكفوفين عناية كبيرة، ولم يتبينوا طرق اتصالهم بالعلوم والآداب والأشعار، على الرغم من أنّ أهم الجوانب التي ركّز عليها المؤرخون عند تعريفهم بهؤلاء المكفوفين هي مكانتهم العلمية والأدبية ونشاطهم العلمي والأدبي سواء في التدريس أو في حلقات

العلم أو في حفظ الأشعار والأخبار أو في التأليف،

وقد دفعني غياب هذا الجانب الى التنقيب، في سير هؤلاء المكفوفين، بحثاً عن أيّة اشارة تبيّن الوسائل التي استخدموها في الكتابة والتأليف وتدوين الشعر والأدب والأخبار، والوسائل التي استخدموها في تلقي العلم والأدب والشعر والأخبار، وهل اقتصرت على الاستماع والاستظهار فقط، أم كانت هنالك وسائل أخرى للاتصال بالعلوم والآداب.

وإلى جانب المصادر الأدبية المشهورة، مثل معجم الأدباء لياقوت ، ووفيات الأعيان لابن خلكان، ودواوين الشعراء المكفوفين مثل ديوان أبي العلاء المعري وديوان أبي العباس الأعمى التَطِيلي الأندلسي وديوان بشار بن برد، فقد رجعت أيضاً الى بعض مؤلفات العرب القدماء التي اختصت بالحديث عن العميان، مثل كتاب نَكْت الهميان في نُكَت العميان لصلاح الدين الصفدي، وكتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ.

وكان حصيلة هذا التقصي بعض الأخبار والأشعار عن محاولات العميان ابتكار أساليب خاصة بهم للاتصال بمحيطهم، كما وقفت على مقطوعات شعرية تتحدّث عن ذكاء العميان وانتقال حاسة البصر الى البصيرة لديهم.

وكان أهم ما وقفت عليه ثلاث قصائد لثلاثة شعراء أندلسيين تصف طريقة قراءة الخطوط باللمس، وما زالت اثنتان منهما مخطوطتين وهما في مخطوط أدباء مالقة لابن عسكر بينما وردت القصيدة الثالثة في كتاب الإحاطة للسان الدين بن الخطيب.

وسأقوم في هذه الدراسة بعرض كل قصيدة على حدة وبيان أهم عناصرها.

١- الوسائل التقليدية لاتصال العميان بمحيطهم:

لعل أسهل طريقة لاتصال الأعمى ببيئته ومحيطه هي الاعتماد على الآخرين الذين يأخذون بيديه ويرافقونه في حلّه وترحاله ويساعدونه في تحقيق احتياجاته.

وعندما يكون الأعمى شاعراً مشهوراً أو عالماً معروفاً، فإنّ دور المرافق لا يكون مجرد مساعدته على التنقل من مكان إلى مكان، وإنما يصبح كاتباً له وراوية لشعره وقارئاً له، وفي هذه الحالة لا بدّ أن يكون المرافق إمّا طالباً نجيباً أو عالماً متمكّناً من علمه.

ومن أمثلة ذلك في الأندلس أن الشاعر أبا القاسم بن أبي طالب المَنيشِي الأندلسي[١] كان يُعرف بعصا الأعمى لأنه كان يقود الشاعر الوشاح الأعمى التُطيلي[٢] ويلازمه[٣].

ومن الأمثلة أيضاً ما اشتهر من ملازمة الأديب أبي جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الأندلسي الغرناطي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي الهَواري النحوي الأعمى (ت ٧٨٠هـ/١٣٧٨م) فَلُقّبا بسبب ذلك بالأعمى والبصير، فكان ابن جابر يؤلف وينظم والرعيني يكتب، ولم يزالا هكذا على طول عمرهما، وقد رحلا إلى مصر معاً، وسمعا من أبي حيان الغرناطي[٤]، ودخلا الشام وسمعا من كثير من العلماء[٥].

ولعل من أكثر طرق اتصال العميان بالعلم طريقة الاستماع لمن يقرأ عليهم، ففي ترجمته لأبي عبدالله الحدّاد المكفوف القرطبي، يقول الضبّي في بغية الملتمس إنه "كان أديباً مشهوراً بقرطبة، تُقْرَأُ عليه الآداب والأشعار..." [٦].

ومن الطرق التقليدية لتعامل المكفوفين مع محيطهم استخدام العصا لإرشادهم إلى الطريق، ومن الشعراء الأندلسيين الذين اشتكوا العمى ووصفوا

استخدام العصا الشاعر أبو المَخْشِيّ عاصم بن زيد القرطبي[٧] حيث يقول من إحدى قصائده بعد أن سمل الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل الأموي[٨] عينيه:

خَضَعَتْ أُمُّ بناتي للعدى ... أن قضى الله قضاء فمضى

ورأت أعمى ضريراً إنّما ... مشيه بالأرض لمسٌ بالعصا

فبكت وجداً وقالت قولة ... وهي حرّى بلغتْ مني المَدى

ففؤادي قَرِحٌ مِن قَولها: ... ما من الأدواء داءٌ كالعمى

وإذا نال العمى ذا بصرٍ ... كان حيّاً مثل مَيْتٍ قد ثوى

وكأنَّ الناعم المسرور لم ... يكُ مسروراً إذا لاح الردى

أبْصَرَتْ مستبدلاً من طرفه ... مَائلاً يسعى بِه حيث سعى

بالعصا إن لم يقده إنّه ... بسؤال الناس يمشي إن مشى

لم يزلْ في كلّ مخشي الرْدى ... يَصطلي الحَرب ويجتابُ الدُّجا

امتطيناها سِماناً بُدُنا ... فتركناها نضاء بالفنا

وذرينـي قد تجاوزت بها ... مَهْمَهاً قفراً إلى أهلِ الندى

قاصداً خيرَ منافٍ كلّها ... ومنافٌ خير من فوق الثرى

وهي طويلة[٩] .

٢- محاولات العميان لابتكار طرق خاصّة للتعامل مع محيطهم:

وقد أوردت المصادر الأدبية أخباراً عن بعض المكفوفين الذين اجتهدوا في ابتكار وسائل خاصّة للاتصال ببيئاتهم. كما أوردت أخباراً عن اشتهار العميان بالذكاء، وأنّ فقدان البصر ينتج عنه زيادة في الذكاء وقوة في البصيرة، قال صلاح الدين الصفدي في "تَكْت الهميان" قلّ أن وُجِد أعمى بليداً، ولا يُرى أعمى ألاّ وهو ذكي[١٠] " ثم يعّلل ذلك قائلاً :" والسبب الذي أراه في ذلك أنّ ذهن الأعمى وفكره يجتمع عليه ولا يعود متشعباً بما يراه، ونحن نرى الإنسان إذا أراد أن يتذكر شيئاً نسيه، أغمض عينيه وفكّر، فيقع على ماشرد من حافظته"[١١] ولذلك ساق لنا المثل القائل:"أحفظ من العميان"[١٢] .

وقد تحدث بعض الشعراء العميان عن انتقال حاسة البصر إلى البصيرة في سياق افتخارهم بالعمى ومن هؤلاء الشاعر بشّار بن برد حيث يقول:

إذا وُلدَ المولودُ أعمى وَجْدتَه ... وجدّك أهدى من بصير وأحولا

عَميتُ جنيناً والذكاء من العمى ... فجئت عجيب الظّن للعلم معقلاً

وغاض ضياءُ العَيْنِ للعلم رافدٌ ... وقلبٌ إذا ما ضيّع الناس حصّلا

وشعر كَنَوْرِ الروض لاءمت بينه ... بقولٍ إذا ما أحزن الشِعْرُ أسهلا[١٣]

وأورد أبو منصور الثعالبي في كتابه " تحسين القبيح وتقبيح الحسن" أشعاراً لبعض من عمي من الأعلام يفضّلون فيها العمى على البصر لأن العمى يوقد البصيرة ويقّويها، فمن ذلك أن عبدالله بن عباس الصحابي الجليل لما عمي قال:

إن يأخذ الله من عينيَّ نورَهُما ... ففي لساني وقلبي منهما نور

قلبي ذكيٌّ وعقلي غيرُ ذي دَخَلٍ ... وفي فمي مِقْوَلٌ كالسيف مأثور[١٤]

ومن ذلك أيضاً قول الشاعر منصور الفقيه[١٥] :

يـــا مُعْرِضـــاً إذْ رآنـــي لمّـــا رآنـــي ضـــريرا

كـــم قـــد رأيـــتَ بصـــيرا أعمـــى، وأعمـــى بصـــيرا

قـــل لـــي، وإن أنـــت أنصْفـــ تَ قُلْـــتَ: خلقـــاً كثيـــرا [١٦]

ومن ذلك ايضاً قول أبي العلاء المعرّي:

سوادُ العَيْنِ زادَ سوادَ قلبي ليتفقا على فَهْمِ الأُمورِ[١٧]

وقال أبو عليّ البصير الأعمى[١٨] :

إذا ما غدت طَلاّبة العِلْم ما لها من العلم إلاّ ما يُخلَّدُ في الكُتْبِ

غدوتُ بتشميرٍ وجدٍّ عليهمُ ومحبرتي سمعي ودفترها قلبي[١٩]

ومن شعراء المغرب الإسلامي العميان الذين تحدّثوا عن افتقاد البصيرة بعد فقدان البصر الشاعر أبو الحسن علي بن عبد الغني الحصَريّ[٢٠] حيث يقول:

وقالوا: قد عميت، فقلت: كلا وإنّي اليَوْمَ أبصَرُ من بصير

سوادُ العينِ زاد سوادَ قلبي ليجتمعا على فهم الأمور[٢١]

ومنهم إبراهيم بن محمد التُطيلي[٢٢] حيث يقول:

شمسُ الظهيرة أعْشَتْ كوكَبيْ بَصرَي كذا سنا النجم في ضوء الضُحى خمدا

إنْ نـازعَ الـدهرُ فـي ثنتين من عُدَدي فواحـدٌ فـي ضلـوعي يبهـر الـعددا

تُغْنـي عـن الشّـهْبِ فـي أجـفانه مُقَـلاً من كانت الشمسُ في اضلاعه خلَدا

...الخ[٢٣] .

ومن الأمثلة التي أوردتْها المصادرُ على ابتكار العميان لأساليب للاتصال

بمحيطهم، ما ذُكِرَ عن أبي الحسن عليّ بن أحمد بن يوسف بن الخضر ألإمام زين الدين الحنبلي الآمدي الذي كفّ بصره في أوائل عمره[٢٤] ، من أنّه كان يتّجر في الكتب وانّه كانت له كتب كثيرة جداً "وكان إذا طُلِب منه كتاب، وكان يعلم أنّه عنده، نهض إلى خزانة كتبه واستخرجه من بينها، كأنه قد وضعه لساعته، وإنْ كان الكتَاب عدة مجلدات وطُلِب منه الأوّل أو الثاني أو الثالث أو غير ذلك، أخرجه بعينه وأتى به. وكان يمسّ الكتاب أولاً ثم يقول: يشتمل هذا الكتاب على كذا وكذا كرّاسة، فيكون الأمر كما قال... واذا أمرّ يده على الصفحة قال: عدد أسطر هذه الصحيفة كذا وكذا سطراً وفيها بالقلم الغليظ كذا وهذا الموضع كتب به في الوجهة وفيها بالحمرة هذا وهذا لمواضع كتبت فيها بالحمرة، وإن اتفق أنها كتبت بخطين أو ثلاثة قال: اختلف الخطّ من هنا إلى هنا، من غير إخلال بشيء ممّا يمتحن به، ويعرف أثمان جميع كتبه التي اقتناها بالشراء، وذلك أنه كان إذا اشترى كتاباً بشيء معلوم أخذ قطعة ورق خفيفة، وفتل منها فتيلة لطيفة، وصنعها حرفاً أو أكثر من حرف الهجاء لعدد ثمن الكتاب بحساب الجُمَّل، ثم يلصق ذلك على طرف جلد الكتاب من داخل، ويلصق فوقه ورقة بقدره لتتأبد، فإذا شذّ عن ذهنه كمية ثمن كتاب ما من كتبه مسّ الموضع الذي علّمه في ذلك الكتاب بيده فيعرف ثمنه من تنبيت العدد الملصق فيه"[٢٥] .

ومن ذلك أيضاً ما أورده صلاح الدين الصفدي في "نَكْت الهِميْان" من أن ضريراً في الديار المصرية كان يقرئ الطلبة كتاب إقليدس في الهندسة ويضع أشكاله لهم بالشمع، وعدّه الصفدي من أغرب ما يكون[٢٦] .

٣- قصيدة الفازازي الأندلسي: [٢٧]

هذه قصيدة في وصف ضرير يقرأ الخطّ باللمس، وقد قدّم لسان الدين بن الخطيب لهذه القصيدة بقوله:" وقال في مدّعي قراءة الخطّ دون نظر " [٢٨]. ويدلُّ تقديم لسان الدين لهذه القصيدة على أنّه يعتقد أن قرءاة الخطّ بطريقة اللمس غير ممكنة، ولذلك وصف ذلك القارئ بالمدّعي، أما الشاعر أبو زيد الفازازي فقد بيّن طريقة القراءة وقدّم لها تفسيراً (شاعرياً) حيث يقول[٢٩] :

وأدوَرَ ميّاس المعاطِفِ أصْبَحَتْ محاسِنُهُ في الناس كالنوعِ في الجنس

يُدير على القِرطاسِ أنْمُل كفّه فيدرك أخفى الخطّ في أيسر الإنس

فقال فريقٌ: سحرُ بابل عنده وقال فريق: ليس هذا من الإنس

فقلت لهم: لم تفهموا سّر دركه على أنّه للعقل أجلى من الشمس

فتى كفُّهُ جَبَّ القلوبَ فأصبحت مداركها أجفان أنمله الخمس

والمتأمل لهذه الأبيات يلاحظ أنّ الشاعر لم يقصد إلى الحديث عن الطريقة التي يقرأ بها ذلك المكفوف الخطّ، وإنّمًا قصد إلى الغزل بذلك الشخص، ولهذا لم يكن هناك اهتمام كبير من قِبَل الشاعر بوصف طريقة القراءة ولا بمعرفة السّر الذي يجعل هذا القارئ يدرك ما في السطور بمجرد اللمس.

واقتصرت المقطوعة على ثلاثة عناصر:

العنصر الأول: الإشارة إلى أنّ هناك شخصاً (أدور ومَياس المعاطف) يقرأ الخطوط مهما دقت في القراطيس عن طريق تمرير أنامل كفّه على الأسطر وبأقل اللمس. وهي لا شك حالة تستحق أن يجد لها المرء تفسيراً.

والعنصر الثاني: أن الناس اختلفوا في تفسير هذه الحالة، وعبارات مثل:"فقال فريق... وقال فريق... فقلت لهم..." تدل على انشغال الناس بهذه الحالة واستغرابهم منها، ومعنى ذلك أنّها ليست ظاهرة منتشرة في المغرب الإسلامي. ويفهم من كلمة (فريق) التي تكررت في البيت الثالث أنّ الانشغال بهذه الحالة لم يكن فردياً بل جماعياً. وأما تفسير الناس لهذه الحالة فلم يكن تفسيراً واقعياً، فبعضهم قال أنّه أشدّ أنواع السحر (سحر بابل). وبعضهم قال إنّ هذا ليس من عمل الإنس، أي أنّه عمل عبقري او من عمل الجّن.

والعنصر الثالث: أنّ الشاعر وجّه القضيّة كلّها بعد ذلك توجيهاً غَزلياً، فاتهم الناس بقلة الإدراك للحقيقة مع أنّ الحقيقة أوضح من الشمس،

وهي أنّ هذا القارئ قد تملك قلوب الناس لجماله فأصبحت كفّه (لاحتوائها على تلك القلوب) تدرك ما لا تدركه الأبصار.

٤- قصيدة سليمان بن أحمد المعروف بكثير: [٣٠]

تختلف هذه القصيدة عن سابقتها في أنّ قائلها يطيل التأمل والوصف لقارئ آخر يقرأ الخطّ باللمس، وقد وردت هذه القصيدة في مخطوط أدباء مالقة لابن عسكر[٣١] . وفيما يلي نصها:

يـا قـارئ الخـطّ بلمـس البنـانْ مُنيبهـا لفـظ منـاب العيـان

أشْكَلَ في غيرك هذا ولكن بان في فعلك كل البيان

ولـو تـوارى شِـمْتَهُ لاحظـا مـا عـاق ذاك اللحـظَ عنـه صـوان

فكـم تعـدّى جُننـا نـافرا صـدورها نَفْـراً[٣٢] لكـم مـن جنـان

مَنْ[٣٣] لم يلاحِظْكَ بِفْهم يَجُزْ عليـك مـا لـم يـره فـي الزمـان

مِرانـةٌ[٣٤] موضِـحةٌ صـارعت مـن خـارق العـادة مـا قبـل كـان

يـا صـورة بـدعا أرتنـا مـن الحسـن فنونـاً لـم تتلهـا الحسـان

إنّ لسـاني ليطيـل وقـد قصـرّ عـن وصـفك ذاك اللسـان

أنلتنـي[٣٥] مـن بعـد يـأس مـن النيـل[٣٦] هـوى بـل ضـمّني[٣٧] خـوطُ بـان

وقـد قبلـت[٣٨] اللـوم مـن لائـم فيـك فهـل لـي مـن صـدودٍ أمـان

إنّ لهذه الأبيات أهمية خاصّة في الكشف عن طريقة قراءة المكفوفين، لأنها تقدّم لنا بعض الحقائق والعناصر المتصلة بهذه الطريقة. وأهم هذه العناصر

ما يأتي:

أولاً: أن هذه الطريقة، كما في القصيدة السابقة، تقوم على تمرير البنان على الخطوط المكتوبة في القراطيس فتدرك محتواها من خلال اللمس، وشاهد ذلك قول الشاعر:

يا قارئ الخطّ بلمس البنان منيبها لفظ مناب العياب

ثانياً: أنّ شرط هذه الطريقة قوةُ حاسة اللمس، ولذلك فإن القارئ يدرك محتوى الخطوط حتى لو فُصل بينها وبين بنان القارئ بعازل من قماش أو نحوه، وشاهد ذلك قول الشاعر:

ولو توارى شِمْتَهُ لاحظاً ما عاق ذاك اللحظَ عنه صوان

(وفاعل " توارى" ضمير مستتر تقديره هو يعود على "الخط" وكلمة "اللحظ" في هذا البيت مصدر الفعل لحظ، والصوان ما صنتَ به الشيء[٣٩] ، أي ما منعت به الوصول إلى الشيء).

ولذلك فإنّ لحظ هذا القارئ أي إدراكه، استطاع أن ينفذ إلى ما وراء المادّة الساترة ذات الصدور النافرة:

فكم تعدّى جُنناً نافرا صدورها، نفرا لكم من جنان

(وفاعل "تعدى" ضمير مستتر يعود على "اللحظ" أي إدراك القارئ، والجُنَنُ جمع جُنة، أي السُترة[٤٠] ،" "ونافراً صدوها" صفة للجُنَن، والجنان شدة ظلمة الليل أو رُوعُ القلب[٤١] .

ثالثاً: أن التمرّن على قراءة الخط بهذه الطريقة، ضروريٌ لاكتساب تلك المهارة، وأن التمرّن يجعل هذه المهارة تتفوق على الخوارق السابقة:

مِرانةٌ مُوضِحةٌ صارعت من خارق العادة ما قبل كان

رابعاً: أن هنالك محاولات سابقة لقراءة الخطوط باللمس، ودليل ذلك قول الشاعر، بعد البيت الأول في وصف الطريقة، مخاطباً القارئ نفسه:

أشكل في غيرك هذا ولـ كنْ بان في فعلك كلّ البيان

ومعنى ذلك أن غيرك قد حاول ذلك من قبل ولكن أعياه الأمر، أمّا أنت فقد أفلحت في المحاولة، وظهر النجاح جلياً أمام الناظرين.

إنّ طريقة القراءة في هذه القصيدة، تكشف لنا عن حالة أكثر تطوراً من الحالة التي تصفها قصيدة الفازازي السابقة، فالفازازي يتحدث عن قارئ يقرأ الخط باللمس،" وكثير الأديب" يتحدث عن قارئ يقرأ باللمس حتى لو وضع على الخطّ قطعة قماش نافرة تفصل بين أنامله وبين صفحة القرطاس.

وفي الحالتين يظهر أن قوة حاسة اللمس تجعل القارئ قادراً على إدراك أدقّ درجة من درجات اختلاف السُّمك في صفحة القرطاس، إلى حد إدراك السمك الذي يضيفه المِداد عند الكتابة على صفحة الورقة. وفي حالة القارئ في قصيدة "كثير الأديب" فإنّ قطعة القماش التي توضع على صفحة القرطاس من شأنها أن تخّفف كثيراً من إدراك القارئ للسمك الزائد الذي ينتج عن الكتابة على صفحة القرطاس، غير أن قوة حاسة اللمس التي يملكها هذا القارئ تجعله قادراً على الإحساس بذلك السمك وإدراكه على الرغم من ذلك العازل بين القرطاس وبين أنامله.

٥- قصيدة ابن عسكر المالقي[٤٢] :

وهذه قصيدة ثالثة في موضوع قراءة العميان بطرق اللمس، وهي قصيدة أبعد عن التكلف في اللغة والوصف من سابقتيها، وهي أجمل لغة وتصويراً منهما، ومع ذلك فهي أدنى إلى الوصف العلمي والتفسير المنطقي لهذه الظاهرة من القصيدتين السابقتين، ولا عجب من ذلك، فإن أبا عبدالله محمد بن عسكر المالقي ناظم هذه القصيدة قد وضع كتاباً سمّاه "الجزء المختصر في السلو عن ذهاب البصر"[٤٣] ممّا يجعل عنايته بوصف القارئ الضرير من صميم اهتماماته.

ووردت القصيدة في مخطوط "أدباء مالقة" على النحو الآتي:
"وله في قارئ يقرأ ما يُكْتَبُ له تحتَ أثوابه باللمس من غير أن يعاين ما في

الطرس مكتوباً":

وقـــارئ مـــا تحـــت أثوابـــه كأنمـــا ينظـــر فـــي طِرْســـه

مزّيـــةٌ فاضـــت بأعضـــائه فانقلبـــت فيـــه إلـــى حسّـــه

كأنمـــــا قـــــوةُ إبصـــــاره قـــد نُقِلـــتْ منـــه إلـــى لمســـه

كأنّمـــا الحـــرف لـــه نـــابضٌ وهـــو كجـــالينوس فـــي طبّـــه

لا تعجبـــوا مـــن أن إدراكـــه ينفـــذ مـــا يعلـــوه مـــن لمســـه

فـــالأفق الأعلـــى ســـماواته لا تحجـــب الإدراك عـــن شمســـه

لمثلـــه كـــان ســـليمان قـــد نظـــر الهدهـــد فـــي نفســـه

فيالهـــا مـــن آيـــة أعجـــزت عـــن مثلهـــا كـــلّ بـــن جنســـه(٤٤)

تشترك هذه القصيدة مع القصيدة السابقة، في كونها تصف قراءة العميان بطريقة اللمس، مع وجود قطعة من القماش تفصل بين القرطاس وأنامل القارئ. ولكن ابن عسكر يفسر هذه الظاهرة تفسيراً علمياً عندما يقول بأنّ فقدان حاسة البصر لدى ذلك القارئ قد عُوض عنها زيادة قوية في حاسة اللمس:

مزّيـــة فاضـــت بأعضـــائه فانقلبـــت فيـــه إلـــى حســـه

كأنمـــــا قـــــوة إبصـــــاره قـــد نُقِلـــت منـــه إلـــى لمســـه

كأنمـــا الحرفلـــه نـــابضٌ وهـــو كجـــالينوس فـــي طبّـــه(٤٥)

وهذا التفسير لهذه الظاهرة لا يختلف كثيراً عمّا ذكر سابقاً عن فقدان البصر وما يؤدي إليه من قوة البصيرة، غير أنّ تفسير ابن عسكر أقرب إلى النظريات العلمية الحديثة حول تعويض الحاسّة المفقودة في تقوية إحدى الحواس المتبقية(٤٦) .

خاتمة

ناقشت هذه الدراسة بعض الأخبار والأشعار التي تتناول بصورة مباشرة وغير مباشرة، وسائل اتصال المكفوفين ببيئتهم ومحيطهم، وخاصة في مجال الاتصال بالإنتاج الفكري المكتوب، وتحاول أن تلفت النظر إلى وجود ثلاث قصائد لثلاثة شعراء أندلسيين تتناول موضوعاً واحداً يتصل بهذه المسألة اتصالاً مباشراً. وتشترك هذه القصائد الثلاث في وصف قراءة العميان للخطوط بطريقة اللمس، وتركز قصيدتان منها على وصف تلك الطريقة على الرغم من تغطية سطح القرطاس بقطعة من القماش.

وتشترك القصائد الثلاث بالتعبير عن الدهشة والاستغراب من الظاهرة وعدّها من الخوارق والمعجزات التي لم تسبق معرفتها من قبل.

كما تحاول كلّ قصيدة من هذه القصائد أن تجد تفسيراً لتلك الظاهرة، إلا ان هذه التفسيرات ظلّت قاصرة من الناحية العلمية بسبب حالة الاندهاش التي أصابت الشعراء، ويمكن أن نستثني قصيدة ابن عسكر من هذا الحكم لأنّ الشاعر أورد فيها بعض التفسيرات العلمية والمنطقية.

ويلاحظ على قصيدة "الفازازي" وقصيدة "كثير الأديب" بعض الغموض في التصوير والتعبير والوصف، وربّما يعود ذلك أيضاً إلى غرابة الظاهرة نفسها، وأما قصيدة ابن عسكر فتختلف عن القصيدتين السابقتين بانها أقلّ غموضاً وأوضح عبارة وأنصع لفظاً.

ويستطيع الباحث أن يقرّر بأن كلّ قصيدة من القصائد الثلاث تصف حالة فردية مستقلة تماماً عن الحالتين الأخريين، وأنّ لكلّ من الحالات الثلاث ظروفها الخاصّة وملابساتها التي لا يمكن معرفتها من غير الاطلاع على سير هؤلاء المكفوفين ومعرفة درجات العمى لدى كلّ واحد منهم، وهذا متعذّر تماماً بسبب عدم معرفة أسمائهم أصلاً.

ولكن لا بد من التنويه أيضاً إلى أنّ وجود حالات ثلاث لمكفوفين ثلاثة

في زمن واحد، هو النصف الأول من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي يقرأون الخط باللمس، يوحي للباحث بأن هذه الحالات الفردية الثلاث- وربما حالات أخرى لم ترشح الينا أخبار عنها- قد تأخذ شكل "ظاهرة" في ذلك الزمن المشار إليه

والسؤال المهم حول هذا الموضوع هو: إذا كان هؤلاء المكفوفون قادرين على تمييز الخطوط وإدراكها باللمس، فمعنى ذلك أنهم تعلموا الحروف العربية وأشكالها وصورها وهذا لا يتأتى للأعمى إلا في حالتين، **الأولى:** أن يكون وُلد بصيراً وتعلّم القراءة والكتابة ثم كفّ بصره، وظلت صورة الحروف عالقة في ذاكرته.

والثانية: أن يكون أهل الأندلس في ذلك العهد يعلّمون العميان القراءة باستعمال مجسمات للحروف والكلمات، وهذا أمر لا يوجد عليه دليل، وإنْ كان الشاعر أبو عبدالله محمد بن غالب الرصافي (ت ٥٧٢هـ/١١٧٦م) قد وصف "خطّاً في كاغد مقطوعاً بمقصّ" قائلاً: (٤٧)

بعيشك هل أبصرْت من قبل أحرفاً كُتِبْنَ بماء الحُسن في طُرَرِ الزْهر

سحاءة قرطاس ثنتها كما ترى ملاعبةُ المقراض سطراً على سطر

أليس عجيباً أن يعَّوضَ كاتبٌ بكافورةِ القرطاس عن مسكةِ الحبر

أن وجود ظاهرة قراءة العميان بلمس السطور أو من فوق قطعة قماش يدلّ على أن هناك محاولات قديمة لاكتشاف طريقة تيسر للمكفوفين الاتصال بأهم مصدر من مصادر المعرفة، وهو الكتاب، وأنّ المحاولات الحديثة المستمرة لتطوير وسائل لقراءة المكفوفين إنما هي امتداد لتلك المحاولات السابقة. ولا بدّ أن تكون طريقة بريل(٤٨) الشائعة الاستخدام حالياً قد ابتكرت بعد محاولات كثيرة في هذا المجال.

الحواشي والتعليقات

١. هو أبو القاسم بن أبي طالب الحضرمي المَنيشي، وزير أديب شاعر ناقد من شعراء القرن السادس الهجري، من قرية منيش من قرى إشبيلية (ابن سعيد الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م، رايات المبرّزين وغايات المميزين، حققه وعلق عليه: الدكتور محمد رضوان الداية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق الطبعة الأولى، ١٩٨٧؛ ص٧٨، ابن سعيد الأندلسي، المُغْرب في حُلى المغرب (٢ج)، حقّقه وعلق عليه الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف مصر، ١٩٦٤، ٢٨٩/١؛ ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان القيسي الإشبيلي ت٥٢٩هـ/١١٣٥م، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة، دار عمار ومؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣، ص٣٥٣؛ إبنْ دِحْية، أبو الخطاب عمر بن حسن ت٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م، المُطْرِب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، دار العلم للجميع، ١٩٥٤، ص١١٠؛ الضبّي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، ١٩٦٧، ص٥٣٤؛ المقّري، أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني ت١٠٤١/١٦٣١م، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٨ج)، حققه الدكتور إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ٥٣/٧/١٩٦٨.

٢. أبو العباس وأبو جعفر أحمد بن عبدالله بن أبي هريرة القيسي الأعمى التُطيلي المتوفى سنة ٥٢٥هـ/١١٣٠م. له ديوان شعر حققه الدكتور إحسان عباس (دار الثقافة بيروت-١٩٨٩).

٣. ابن سعيد، رايات المبّرزين ص ٧٨؛ المُغْرب في حُلى المَغْرب ٢٨٩/١.

٤. أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان الغرناطي، من كبار علماء النحو، ولد في غرناطة سنة ٦٥٤/١٢٥٦م، رحل إلى مصر

وأقام فيها، وله عدد كبير من المؤلفات في النحو والحديث والتفسير وغيرها، وتوفي سنة ٧٤٥ /١٣٤٤م. (السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت٩١١هـ/١٥٠٥م، بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة (٢ج)، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١,١٩٧٩/٢٨٠-٢٨٥؛ الصفدي، صلاح الدين بن خليل بن آيبك ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م، الوافي بالوفيات، الجزء الخامس باعتناء س. ديدرينغ، دار النشر: فرانز شتاينر، فيسبادن، ١٩٨١، ص٢٦٧-٢٨٣؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن آيبك، نكْتُ الهِمْيان في نُكتِ العمِيْان، عني بطبعه ونشره أسعد الحسيني، مصر، ١٩٨٤، ص ٢٨٠-٢٨٦

٥. أنظر أخبارهما في: السيوطي، بغية الوعاة ١/٣٤-٣٥؛ الصفدي نكت الهميان، ص٢٤٤-٢٤٥؛ المقّري، نفح الطيب ٢/٦٦٤-٦٩٠.

٦. الضبّي، بغية الملتمس ص ٥٢٣.

٧. أبو المَخْشي عاصم بن زيد بن حنظلة بن علقمة... التميمي العبادي، وأبوه أبو زيد هو الداخل من المشرق إلى الأندلس، كان شاعراً مطبوعاً من شعراء القرن الثاني الهجري، وكان منقطعاً إلى سليمان بن عبد الرحمن الداخل، فكان هشام بن عبد الرحمن يكرهه بسبب ذلك، واتهم أبو المخشي بأنه عرّض بهشام لأنه كان أحول، فعمل هشام الحيلة حتى تمكّن من أبي المَخْشي فأمر بقطع لسانه وسمل عينيه، فصار أعمى توفي سنة١٨٠هـ/٧٩٦م.

(ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبدالله محمد بن محمد ت٧٠٣هـ/١٣٠٣م، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الخامس (قسمان)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، ١٩٦٥، القسم الأول، ص١٠٢-١٠٣، لسان الدين بن الخطيب، أبو عبدالله محمد بن عبدالله السلماني اللوشي ت ٧٧٦-١٣٧٤م،الإحاطة في أخبار غرناطة (٤ج)، تحقيق محمد بن عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٣-١٩٧٧، ٤/٢٣١-٢٣٥؛ ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز القرطبي، تاريخ افتتاح الأندلس، حققه وشرحه وقدم له عبدالله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين،

بيروت ١٩٥٧، ص٥٩-٦٠. الحميدي، أبو عبدالله محمد بن أبي نصر فتّوح بن عبدالله الأزدي ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ١٩٦٦، ص٤٠١، الضبّي، بغية الملتمس ص ٥٢٨؛ ابن سعيد الأندلسي، المُغْرب في حلى المغرب ١٢٣/٢-١٢٤؛ الأزدي، علي بن ظافر، بدائع البدائه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٧٠، ص٣٨-٣٩).

٨. هشام بن عبد الرحمن الداخل ثاني أمراء بني أمية في الأندلس، ولي بعد أبيه عبد الرحمن الداخل سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م وظل والياً حتى وفاته سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م. (الحميدي جذوة المقتبس ص ١٠؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٦٥).

٩. وردت الأبيات الستة الأولى في: ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الأول، ص١٠٣، وورد بعضها في: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس ص ٥٩، ووردت جميعها في: ابن الخطيب، الإحاطة ٢٣٣/٤-٢٣٤ (مع كثير من التصحيف).

١٠. الصفدي، نكتب الهميان، ص٨٣.

١١. نفسه.

١٢. نفسه، ورد المثل في الميداني (انظر: الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري ت٥١٨/١١٢٤م، مجمع الأمثال (٢ج)، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار القلم، بيروت، ٢٢٩/١).

١٣. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ت٢٥٥هـ/٨٦٨م، البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق الدكتور محمد مرسي الخولي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨١، ص٢٠؛ بشّار بن برد، ديوان بشّار، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، ١٣٦٩هـ/١٣٦/٤.

١٤. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك النيسابوري ت٥٢٩هـ/١١٤٣م، تحسين القبيح وتقبيح الحسن، تحقيق شاكر العاشور، إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف

والشؤون الدينية، الجمهورية العراقية الطبعة الأولى ١٩٨١، ٤٧-٤٨؛ الصفدي، نكت الهميان ص٧١.

١٥. أبو الحسن منصور بن إسماعيل بن عمر التميمي شاعر ضرير سكن مصر وتوفي بها سنة ٣٠٦هـ/١٩١٨م (انظر:ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن أبي بكر ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٨ج)، حققه الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧,٥/٢٨٩-٢٩٢).

١٦. الأبيات في: الثعالبي، تحسين القبيح، ص٤٩.

١٧. الصفدي، نكت الهميان، ص٧٢.

١٨. أبو علي الفضل بن جعفر بن الفضل بن يونس النخعي الشاعر المعروف بالبصير، من أهل الكوفة وسكن بغداد، مدح المعتصم والمتوكل (المصدر السابق ص٢٢٥؛ ابن المعتز، عبدالله بن المعتز ت٢٩٦هـ/٩٠٨م، طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج، دار المعارف بمصر، ١٩٥٦، ص ٣٩٧).

١٩. الصفدي، نكت الهميان، ص٧٧.

٢٠. أبو الحسن علي بن عبد الغني القروي الحصري الأندلسي، نحوي شاعر ضرير، طاف الأندلس ومدح ملوكها مثل المعتمد بن عباد والمعتصم بن صمادح ودخل الأندلس بعد ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨، توفي سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م.

(ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله، معجم الأدباء(٢٠ج) دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠، ١٤/٣٩-٤١؛ الصفدي، نكت الهميان، ص٢١٣-٢١٤، ابن بسام الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسّام ت٥٤٢هـ/١٤٧م، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (أربعة أقسام في ثمانية مجلدات)، تحقيق الدكتور إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٨-١٩٧٩، القسم الرابع المجلد الأول ص ٢٤٥-٢٨٣).

٢١. ياقوت، معجم الأدباء، ١٤/١؛ الصفدي، نكت الهميان ص٧٦.

٢٢. أبو إسحق إبراهيم بن محمد التَطيلي الضرير، نشأ بقرطبة وسكن إشبيلية، وكان يعرف بالتطيلي الأصغر للتفريق بينه وبين أبي العباس أحمد بن هُريرة

التُطيلي، وعاش في القرن السادس الهجري (ابن الأبّار، أبو عبدالله محمد بن الأبار القضاعي البلنسي ت٦٥٨هـ/١٢٥٩م، تحفة القادم، أعاد بناءه وعلّق عليه الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦، ص٣٩-٤١؛ الصفدي، نكت الهميان، ص٩٠؛ الصفدي الوافي بالوفيات، الجزء السادس، باعتناء، س.ديدرينغ، دار النشر فرانز شتاينر، فيسبادن، ١٩٨١، ص١٣٤).

٢٣. الصفدي، نكت الهميان ص ٧٥؛ الوافي بالوفيات ١٣٤/٦).

٢٤. بغدادي، له مجموعة من المؤلفات في تعبير الرؤيا والفقه، وكان يتاجر بالكتب، توفي بعد سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م.
(انظر: الصفدي، نكت الهميان ص٢٠٦-٢٠٨).

٢٥. نفسه ص ٢٠٧-٢٠٩.

٢٦. المصدر نفسه ص ٨٤-٨٥.

٢٧. أبو زيد عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد بن تنفليت الفازازي، نسبة إلى جبل فازاز بقبلي مكناسة الزيتون، ولد ونشأ في قرطبة، ورحل إلى مراكش وتلمسان وفاس ومالقة وإشبيلية وتونس، وكان على صلة بأمراء الموحّدين، وله شعر ونثر، وكانت وفاته في مراكش سنة ٦٢٧هـ/١٢٢٩م.
(انظر ترجمته في: ابن الخطيب، الإحاطة ٥١٧/٣-٥٢٢؛ ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبدالله محمد بن محمد، ت ٧٠٣هـ/١٣٠٣م، الذيل والتكملة لكتَابْي الموصول والصلة، السفر الثامن (قسمان)، تحقيق الدكتور محمد بن شريفة، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، القسم الثاني، ص٥٤٢، ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن الأبار القضاعي البلنسي ت ٦٥٨هـ/١٢٥٩م، التكملة لكتاب الصلة (طبعة مدريد) ٥٨٥/٢، الرعيني، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الإشبيلي ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م، برنامج شيوخ الرعيني، حققه إبراهيم شبّوح مديرية إحياء التراث القديم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٢، ص ١٠-١٠٥؛ السيوطي، بغية الوعاة ٩١/٢، المقّري، نفح الطيب ١١٩/٢، ١٩٥، ١٢٢/٤، ٥٠٧/٧،٤٦٨. وانظر أيضاً: آثار أبي الفازازي الأندلسي،

نصوص أدبية من القرن الهجري السابع جمعها بعض تلاميذه في حياته، تقديم وتحقيق عبد الحميد عبدالله الهرامة، دار قتيبة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١).

٢٨. ابن الخطيب، الإحاطة ٥٢٢/٣.

٢٩. وردت المقطوعة في: ابن الخطيب، الإحاطة ٥٢٢/٣، العبّاس بن إبراهيم، الإعلام بمن حلّ بمراكش وأغمات من الأعلام، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٧٧، ٨٧/٨؛ آثار أبي زيد الفازازي، ص ١٦٢.

٣٠. شاعر من شعراء الأندلس أصله من العلياء، بغرب الأندلس، ويعرف بكثير الأديب أقام بمالقة مدة، ومرّ بإشبيلية، ثم رحل إلى بجاية، وبعدها استقر في جزيرة منورقة، وتوفي سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٨م.

(انظر ترجمته في: ابن عسكر، أبو عبدالله محمد بن علي بن خضر بن هارون الغسّاني ت٦٣٦هـ/١٢٣٨م، أدباء مالقة (مخطوط بخزانة الأستاذ محمد المنوني المكناسي وقد أتممت تحقيقه وإعداده للنشر)، ص ١٨٩؛ ابن سعيد الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م، القدح المعلّى في التاريخ المحلّى (اختصره أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن خليل)، تحقيق إبراهيم الأبياري، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٥٩، ص١٨٩).

٣١. ابن عسكر، أدباء مالقة ص ١٨٩.

٣٢. في الأصل: قبرا.

٣٣. في الأصل: ومن.

٣٤. في الأصل: من أنت.

٣٥. في الأصل: اقبلتني.

٣٦. غير واضحة في الأصل.

٣٧. غير واضحة في الأصل: صعنى.

٣٨. في الأصل: أقبلت.

٣٩. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، صادر، بيروت، مادة "صون".

٤٠. نفسه: مادة "جنن".

٤١. نفسه: مادة "جنن".

٤٢. أبو عبدالله محمد بن علي بن خضر بن هارون بن عسكر الغساني، من أهل مالقة، وأصله من قرية بغربيها، أديب شاعر مؤرخ، ولي قضاء مالقة مرتين، سمع عن عدد كبير من علماء الأندلس والمشرق له عدد من المؤلفات منها:" الجزء المختصر في السلوّ عن ذهاب البصر "ولعل هذه الرسالة هي التي جعلته يصف قراءة العميان، ولو وصلت إلينا هذه الرسالة لربما قدمت لنا فوائد أخرى في موضوع هذا البحث، ومن مؤلفاته أيضاً كتاب أدباء مالقة لكنه توفي قبل أن يتمّه، فأكمله ابن أخته أبو بكر محمد بن خميس، ويعرف هذا الكتاب بأكثر من عنوان. وكان مولد ابن عسكر سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م، وتوفي سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٨م.

(انظر ترجمته في: ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابَيْ الموصول والصلة (السفر السادس)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣، ص٤٤٩-٤٥٢؛ ابن الأبار القضاعي، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر البلنسي ت٦٥٨هـ/١٢٥٩م، التكلمة لكتاب الصلة، نشره عزّت العطار الحسيني، مصر، ٢,١٩٥٦/٦٤١/٦٤٢؛ النباهي المالقي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن، تاريخ قضاة الأندلس، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، ص١٢٣؛ المقري، نفح الطيب ٢/٢٥١-٣٥٢؛ ابن الخطيب الإحاطة ٢/١٧٢-١٧٥، وله ترجمة مطولة في أدباء مالقة من تأليفه وإتمام ابن خمس، ص ٧٧-٨٩).

٤٣. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة (طبعة مصر)، ٢/٦٤٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة٢/١٧٤، ابن عسكر، أدباء مالقة ص ٧٨؛ النباهي المالقي، تاريخ

قضاة الأندلس ص ١٢٣؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة ٤٥٠/٦.

٤٤. وردت هذه القصيدة في "أدباء مالقة"، ص٨٦.

٤٥. طبيب يوناني مشهور وله مؤلفات مشهورة (انظر: صاعد الأندلسي، ابو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد ت ٤٦٢هـ/ ١٠٧٠م، طبقات الأمم، نشره لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٢ ص ٢٨).

٤٦. حول تعويض الحواس انظر: د. مختار حمزة، سيكولوجية المرضى وذوي العاهات، ص ١٢٥-١٢٩ حيث يعرض للاعتقاد الشائع حول تعويض الحواس وأن فقدان البصر يؤدي إلى زيادة حدة الحواس الأخرى ومنها حاسة اللمس. ثم يقدم اثباتات وتجارب تدحض هذا الاعتقاد، وتثبت أن زيادة حدّة إحدى الحواس يرجع إلى تدريب تلك الحاسة كوسيلة من وسائل تعرّف الأعمى على البيئة المحيطة به.

وانظر د. لطفي بركات أحمد، الرعاية التربوية للمكفوفين، حول القدرات الخاصة بالكفيف ٩٠-٩٦.

٤٧. ابن عسكر، أدباء ص ٢٦.

٤٨. تعتمد طريقة بريل على الخط النقطي والتمييز باللمس لنقط بارزة، حيث تكوّن أشكال مختلفة من هذه النقط يرمز كل شكل منها إلى حرف من الحروف الهجائية وإلى اختصارات أخرى كثيرة. ويبلغ عدد هذه الأشكال ثلاثة وستين شكلاً يتألف كل شكل من نقطة إلى ست نقاط بارزة مرتبة على شكل خلايا، مصفوفة في أسطر على الورقة وتقرأ بتمرير رؤوس الأصابع عليها برقة. ومخترع هذه الطريقة هو لويس بريل (Louis Braille) (١٨٠٩-١٨٥٢) الفرنسي الذي كفّ بصره في الثالثة من عمره، وقد اخترع هذه الطريقة سنة ١٨٢٤ عندما كان طالباً في المعهد الوطني للأطفال المكفوفين في باريس.

ومن المحاولات التي سبقت طريقة بريل طريقة اخترعها الفرنسي فالنتين هوي Valentin Hayu (١٧٤٥-١٨٢٢) من خلال الحروف المحفورة في الخشب أو

مجسمات الحروف الورقية. كما اخترع وليام مون (William Moon) (١٨١٨-١٨٩٤) طريقة تعتمد على الحروف الرومانية.

(انظر: Encyclopaedia Britanica, Vol.3,pp١١٥- ١١١ , art Braille)

(وانظر أيضاً" د. مختار حمزة، سيكولوجية المرضى وذوي العاهات، ص ١٢٧، يوسف المؤذن، عالم النور، ص ١١١-١١٤).

المصادر والمراجع

١. ابـن الأبّـار، أبـو عبداللـه محمـد بـن أبـي بكـر القُضـاعي البلنسـي ت ٦٥٨هـ/١٢٥٩م، تُحفة القادم، أعاد بناءه وعلّق عليه الدكتور إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦.

٢. ابـن الأبـار، أبـو عبداللـه محمـد بـن أبـي بكـر القضـاعي البلنسـي ت ٦٥٨هـ-١٢٥٩م، التكملة لكتاب الصلة، نشره عزت العطاء الحسيني، مصر عام ١٩٥٦.

٣. الأزدي، علي بن ظافر، بدائع البدائه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٧٠.

٤. الأعمى التُطيلي، أبو العبّاس وأبو جعفر أحمد بن عبدالله بن أبي هريرة القيسي ت٥٢٥هـ/١١٣٠م، ديوان الأعمى التطيلي، تحقيق الدكتور إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٩.

٥. ابن بسام الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسّام ت ٥٤٢هـ/١١٤٧، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (أربعة أقسام في ثمانية مجلدات)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دارالثقافة، بيروت، ١٩٧٨-١٩٧٩.

٦. بشّار بن برد، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، ١٣٦٩هـ.

٧. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك النيسابوري ت ٥٢٩هـ/١١٤٣م، تحسين القبيح وتقبيح الحسن، تحقيق شاكر العاشور، إحياء التراث الإسلامي وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الجمهورة العراقية، الطبعة الأولى، ١٩٨١.
٨. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ت٢٥٥هـ/٨٦٨م، البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق الدكتور محمد مرسي الخولي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨١.
٩. الحُمَيْدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتّوح بن عبد الله الأزدي ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ١٩٦٦.
١٠. ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان القيسي الإشبيلي ت٥٢٩هـ/١١٣٥م، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة، دار عمار ومؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٣.
١١.ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م، وفيات الأعيان وأنباء الزمان (٨ج)، حققه الدكتور إحسان عبّاس، دار صادر بيروت، ١٩٧٧.
١٢.ابن دِحْية، ابو الخطاب عمر بن حسن ت٦٣٣هـ/١٢٣٥م، المُطْرِب من أشعار المَغْرِب، تحقيق إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، دار العلم للجميع، ١٩٥٤.
١٣. الرُعَيني، أبو الحسن علي بن محمد علي الإشبيلي ت ٦٦٦هـ/١٢٦٧م، برنامج شيوخ الرعيني، حققه إبراهيم شبّوح، مديرية إحياء التراث القديم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٢.

١٤.ابن سعيد الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى ت٦٨٥هـ/١٢٨٢م، رايات المبرزين وغايات المميّزين، حققه وعلق عليه: الدكتور محمد رضوان الداية، دار طلاس للدراسات والترجمة النشر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٧.

١٥.ابن سعيد الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م، القدح المُعلى في التاريخ المُحلّى (اختصره أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل)، تحقيق إبراهيم الأبياري، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٥٩.

١٦.ابن سعيد الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م، المُغرِب في حُلى المَغْرِب (٢ج)، حققه وعلّق عليه الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، مصر ١٩٦٤.

١٧. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت٩١١هـ/١١٥٠٥م، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (٢ج)، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٩٧٩.

١٨. الشعراء المعوقون.

مجلة الفيصل، الرياض، السنة الخامسة، العدد ٥٣، ذو القعدة ١٤٠١هـ- أيلول ١٩٨١، ص١٤٤-١٤٩.

١٩.صاعد الأندلسي أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد ت ٤٦٢هـ/١٠٧٠م، طبقات الأمم نشره لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٢.

٢٠. الصفدي، صلاح الدين خليل بن آيبك ت٧٤٦هـ/١٣٦٢م،، نَكْتُ الهِمْيان في نُكَتِ العميان، عني بطبعة ونشره أسعد الحسيني، مصر، ١٩٨٤.

٢١.الصفدي، صلاح الدين خليل بن آيبك ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م، الوافي بالوفيات، الجزآن الخامس والسادس، باعتناء س.ديدرينغ، دار النشر: فرانز شتاينر، فيسبادن، ١٩٨١.

٢٢.الضّبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة ت٥٩٩هـ/١٢٠٢م، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، ١٩٦٧.
٢٣.العباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حلّ بمراكش وأغمات من الأعلام، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٧٧.
٢٤. ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد ت٧٠٣هـ/١٣٠٣م، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الخامس (قسمان)، تحقيق الدكتور إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥.
٢٥.ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر السادس، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣.
٢٦. ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد ت٧٠٣هـ/١٣٠٣م، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الثامن (قسمان)، تحقيق الدكتور محمد بن شريفة، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، د.ت.
٢٧. ابن عسكر، أبو عبد الله محمد بن علي بن خضر بن هارون الغسّاني ت٦٣٦هـ/١٢٣٨م، أدباء مالقة، نسخة مصورة من مخطوط بخزانة الأستاذ محمد المكناسي.
٢٨.الفازازي، أبو زيد عبد الرحمن بن يخلفتن ت٣٢٧هـ/١٢٢٩م، آثار أبي زيد الفازازي الأندلسي، تقديم وتحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار قتيبة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١.
٢٩.ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز القرطبي، تاريخ افتتاح الأندلس، حققّه وشرحه وقّدم له عبد الله أنيس الطبّاع، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٧.

٣٠. لسان الدين بن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني اللوشي ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م، الإحاطة في أخبار غرناطة (٤ج)، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٣-١٩٧٧.
٣١. د. لطفي بركات أحمد، الرعاية التربوية للمكفوفين، جدة، تهامة، ١٩٨٢، سلسلة الكتاب الجامعي (١٦).
٣٢. د. مختار حمزة، سيكولوجية الرمضى وذوي العاهات، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤.
٣٣. ابن المعتز، عبد الله ت٢٩٦هـ/٩٠٨م، طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج، دار المعارف، مصر، ١٩٥٦.
٣٤. المقّري، أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني ت١٠٤١هـ/١٦٣١م، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٨ج)، حققه الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.
٣٥.ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرّم، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
٣٦. الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري ت٥١٨هـ/١١٢٤م، مجمع الأمثال (٢ج) حقّقه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار القلم، بيروت، د.ت.
٣٧.النُباهي المالقي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن، تاريخ قضاة الأندلس، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، د.ت.
٣٨.ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم الأدباء (٢٠ج)، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠.
٣٩. يوسف المؤذن، عالم النور، المطبعة العصرية، تونس، ١٩٦٩.
٤٠. Encyclopaedia Britanica Vol.3, art, Braille.